

الطب النبوي في علاج القلوب والأبدان

تأليف

سيد مبارك

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد ..

. في زماننا هذا الذي كثرت فيه الفتن وعمنا فيه البلاء وزادت فيه أمراض القلوب والأبدان وعجز الكثير منا إلا من رحم ربي عن الطاعة أما لقسوة في القلب أو لسقم في البدن ، وفي كلتا الحالتين بينة لنا السنة النبوية والقران الكريم الداء والدواء لكل أمراض القلوب والأبدان فما أحوجنا إلي التماس سبل الشفاء والهداية منهما.

هذا وقد قسمنا البحث إلي قسمين :

قسم لبيان أمراض القلوب وعلاجها ، والقسم الثاني لبيان أمراض الأبدان وطرق الوقاية منها وعلاجها من خلال روائع الطب النبوي وفيه العلاج الشافي بالخامات الطبيعية بعيداً عن أضرار الأدوية الكيماوية التي تسبب أضراراً جانبية سيئة وفي بعض الأحوال تضر بالبدن ، وليس هذه دعوة لتركه بل هي دعوة للعودة لالتماس العلاج النبوي الذي أهملناه وفيه من الفوائد أكثر ما في غيره من الأدوية الأخرى ، لأنه علاج بوحي من السماء لقوله تعالي " وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤) "النجم.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل ،،

لكل داء دواء

من فضل الله تعالي انه جعل لكل داء دواء ..

وجعل في قرانه وسنة رسوله ﷺ آيات من الإعجاز التي تشقي كل الأمراض إن اخلص العبد النية في توكله عليه .

قال تعالي : " ونُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ورَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ولا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إلاَّ خَسَاراً (٨٢) "–الإسراء

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء " – أخرجه البخاري في الطب–٥٦٧٨ وابن ماجه في الطب ح/٣٤٣٩

– وقال صلى الله عليه وسلم :

" إن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله " أخرجه أحمد ح/٤٢٢٤ وانظر السلسلة الصحيحة ح ٤٥١

يقول ابن القيم في مقدمة كتابه(الجواب الكافي)عن الشفاء بالقران ما مختصره : (وهذا يعم أدواء القلب والروح والبدن وأدويتها..إلي أن قال: فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب فلم ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أشجع في إزالة الداء من القرآن.

ثم قال –رحمه الله بعد كلام– ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأي لها تأثيرا عجيبا في الشفاء ومكثت بمكة مدة تعتريني أدواء ولا أجد طبيبا ولا دواء فكنت أعالج نفسي بالفاتحة فأري لها تأثيرا عجيبا فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألما وكان كثير منهم يبرأ سريعا ولكن هاهنا أمر ينبغي التفطن له وهو أن الأذكار والآيات والأدعية التي يستشفى بها ويرقا بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعى قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم

قبول المنفعل أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجح فيه الدواء كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره. فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء لقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول وكذلك القلب إذا أخذ الرقاء والتعاويذ بقبول تام وكان للراقى نفس فعالة وهمة مؤثرة في إزالة الداء وكذلك الدعاء فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف عنه أثره إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء فيكون بمنزلة القوس الرخو جدا فإن السهم يخرج منه خروجا ضعيفا وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها. اهـ
أما الشفاء بالسنة والطب النبوي فسوف نذكر أهم الأدوية النبوية في الوقاية والعلاج علي الصفحات التالية .
ولنبدأ الآن القسم الأول من البحث ونبين الداء والدواء لبعض أمراض القلوب مع بيان الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ،وأسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضيه إنه على كل شيء قدير أمراض القلوب وعلاجها والله المستعان.

القسم الأول : الداء والدواء في علاج امراض القلوب

١– داء الغضب

الغضب آفة هذا الزمان والكثير من الناس يغضب لأتفه الأسباب وربما يغضب للمعصية وطاعة الشيطان ولا يغضب لانتهاك حرمات الله تعالى والخروج عن حدوده .

وهو السبب في فقد أعصاب الزوج أو الزوجة فتحدث المشاكل ويتفرقان بالطلاق ويتشرد الأطفال ، وهو السبب في عقوق الأبناء للآباء والأمهات بسبب المال وحب الدنيا ، وهو السبب في أذى الجار لجاره بحق وبدون حق ، كما أنه يؤدي إلى الحقد والحسد الذي يشتعل في قلوب بعض العباد .. الخ .

يقول أبو حامد الغزالي في تعريفه: (الغضب معناه غليان دم القلب لطلب الانتقام ، فمتى غضب الإنسان ثارت نار الغضب ثوراناً يغلي به دم القلب ، وينتشر في العروق ، ويرتفع إلى أعالي البدن ، كما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر ، ولذلك يحمر الوجه والعين والبشرة ..) –أنظره إحياء علوم الدين (٣/ ١٦٧)

ولخطورة داء الغضب فلا بد من معرفة آفاته حتى ندرك دواؤه وطريقة علاجه .

– درجات الغضب

لقد قسم العلماء الغضب إلى ثلاث درجات : " التفريط والإفراط والاعتدال "

–**التفريط** :بمعنى فقدان حمية الغضب نهائياً فلا يغضب العبد لانتهاك حرمات الله كمن يرى في بيته من وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالحمو (كشقيق الزوج وابن أخيه .. الخ) وفي خلوة محرمة مع زوجه فيرى ذلك أمراً عادياً فهذا كله تفريط .

والسؤال :

أين الغيرة على الحرمات ؟ !!

أين الغضب لانتهاك الخصوصيات ؟!!

قال تعالى : (ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ...) (الحج : ٣٠) .

-**الإفراط** : وهو الغضب لأتفه الأسباب دون فكر أو نظر فإن شدة الغضب في هذه الحالة إفراط مذموم ويؤدي إلى عواقب وخيمة .

وفي الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فما تعدون الصرعة فيكم قال قلنا الذي لا يصرعه الرجال قال ليس بذلك ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب "- جزء من حديث أخرجه مسلم في البر والصلة ح/٢٦٠٨، وأبو داود في الأدب ح/٤١٨١

-**الاعتدال**: اعلم أن التفريط في الغضب ضياع لحقوق الله والعباد ، والإفراط في الغضب آفة تؤدي إلى عواقب وخيمة ، وخير الأمور الوسط ، والاعتدال في الغضب أن يملك المرء نفسه فيكون حليماً عندما يغضب لله ويعفو ويكظم غيظه لله تعالى فلا يصل للإفراط فيؤذي من حيث يريد الإصلاح .

-وها هو ابن مسعود رضي الله عنه يعطينا درساً في الحلم والاعتدال ، فقد سرقت له دراهم فأخذ أصحابه يدعون على من أخذها ، فقال : اللهم إن كان حملته على أخذها حاجة فبارك له فيها ، وإن كانت حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه .

أسباب الغضب:

أسباب الغضب كثيرة مثل الزهو والكبر ، والفخر والعجب ، التعيير ، شدة الحرص على المال والجاه ، والجدال والمزاح .. وغير ذلك .

وعلى العبد إن أراد العلاج والدواء أن يتجنب الوقوع في هذه الأسباب وأن يتذكر دائماً قول الله تعالى عند إحساسه بالغضب : (وسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) (آل عمران) فيأمل أن يكون من المتقين ومن أهل الجنة.

دواء وعلاج آفه الغضب :

أعلم أن الدواء والعلاج سهل وهين وفي السنة الصحيحة الكثير من طرق العلاج النافع أن شاء الله ما لم يتمادى المرء فيصبح الدواء عديم الفائدة وتأثيره محدود فمن أراد العلاج حقاً أخلص النية عند الشروع في تعاطي الدواء لله تعالي حتى لو كان الدواء مراً وصعباً على النفس ، وهاهي بعضاً من الأدوية والله المستعان .

١-يتفكر فيما ورد في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم:

كما قال تعالي :الَذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والْكَاظِمِينَ الغَيْظَ والْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللَّهُ يُحِبُّ المحْسِنِينَ (١٣٤)) (آل عمران)

فيرغب في ثواب ذلك وتمنعه رغبته في الأجر عن الانتقام عسي أن يكون من المحسنين بكظم غيظه ، والعفو عن الناس .

٢-الاستعاذة من الشيطان

-لحديث سليمان بن صرد قال :كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه فقال النبي صلى الله عليه وسلم :إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد فقالوا له إن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعوذ بالله

من الشيطان فقال وهل بي جنون " – أخرجه البخاري في بدء الخلق ح/٣٢٨٢، ومسلم في البر والصلة ح/٢٦١٠

قال النوي قي شرح حديث مسلم : قوله صلى الله عليه وسلم في الذي اشتد غضبه : (إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فيه أن الغضب في غير الله تعالى من نزغ الشيطان ، وأنه ينبغي لصاحب الغضب أن يستعيذ فيقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وأنه سبب لزوال الغضب . وأما قول هذا الرجل الذي اشتد غضبه : هل ترى بي من جنون ؟ فهو كلام من لم يفقه في دين الله تعالى ، ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة ، وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالمجنون ، ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان ، ولهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله ، ويتكلم بالباطل ، ويفعل المذموم ، وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح المترتبة على الغضب ، لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال له : أوصني قال : " لا تغضب " فردد مرارا قال " لا تغضب " فلم يزده في الوصية على لا تغضب مع تكراره الطلب ، وهذا دليل ظاهر في عظم مفسدة الغضب وما ينشأ منه . ويحتمل أن هذا القائل : هل ترى بي من جنون كان من المنافقين ، أو من جفاة الأعراب . والله أعلم .اهـ

٣–أن يغير المرء من هيئته:

فإن كان قائماً فليقعد وإن كان قاعداً فليضجع لحديث النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع "– صحح الألباني إسناده في صحيح سنن أبو داود ح/٤٧٨٢– وهو في صحيح الجامع ح/٦٩٤

٤-السكوت والحذر من آفات اللسان :

لقوله تعالي " مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) "-ق

ولقول النبي ﷺ:" ذا غضب أحدكم فليسكت . "- أخرجه السيوطي من حديث ابن عباس- وصحح الألباني إسناده في صحيح الجامع ح/٦٩٣

فعند الغضب لا يملك المرء أربه فيسب ويغتاب ويتكلم الشيطان علي لسانه بكل ما يسخط الله تعالي عليه .. ومن ثم فالسكوت هنا من أنفع الأدوية إلا أن يقول خيراً لقوله ﷺ :" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ..."-أخرجه البخاري في الرقاق ح/٦٤٧٥، ومسلم في الإيمان ح/٤٧

٢- داء الكبر :

إن الكبر داء إذا دخل قلب الإنسان أفسده وأفسد عليه دينه ودنياه والكبر ليس من صفات المؤمنين لأن الله تعالى يقول : (وعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وإذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً (٦٣)) (الفرقان) .

ومن ثم فالتواضع هي الصفة التي يجب أن يتصف بها المسلم وقد حذر الله تعالى المتكبرين فقال جل شأنه:

(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وإن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وإن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وإن يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦)) (الأعراف) .

وفي الحديث القدسي الصحيح قال تعالي : : " العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته" —مسلم في البر والصلة ح/٢٦٢٠.

قال النووي في شرح الحديث: قوله صلى الله عليه وسلم : (العز إزاره ، والكبرياء رداؤه ، فمن ينازعني عذبته) هكذا هو في جميع النسخ فالضمير في : (إزاره ورداؤه) يعود إلى الله تعالى للعلم به ، وفيه محذوف تقديره : قال الله تعالى : { ومن ينازعني ذلك أعذبه } . ومعنى (ينازعني) يتخلق بذلك ، فيصير في معنى المشارك ، وهذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه . وأما تسميته إزارا ورداء فمجاز واستعارة حسنة كما تقول العرب : فلان شعاره الزهد ، ودثاره التقوى لا يريدون الثوب الذي هو شعار أو دثار ، بل معناه صفته ، كذا قال المازري . ومعنى الاستعارة هنا أن الإزار والرداء يلصقان بالإنسان ، ويلزمانه ، وهما جمال له . قال : فضرب ذلك مثلا لكون العز والكبرياء بالله تعالى أحق ، وله ألزم ، واقتضاهما جلاله . ومن مشهور كلام العرب فلان واسع الرداء ، وغمر الرداء أي واسع العطية .اهـ

-وحكى أن مالك بن دينار رحمه الله تعالى رأى شاباً يمشي في خيلاء فنهاه عن هذه المشية التي لا يحبها الله تعالى فقال بكبر وغرور : نعرف من أنا ؟ .. قال أعرفك معرفة أكيدة : فأولك نطفة مذرة ، وأخرك جيفة قذرة ، وأنت بين ذاك تحمل العذرة ، فاستحى الشاب وما عاد إلي ما كان عليه.

علاج داء الكبر :

وعلاج الكبر في دوائيين علي الأقل هما التواضع وذكر الموت .

١- التواضع :

من تواضع لله تعالى رفعه الله ،وقد مدح الله تعالى أهل التواضع ووعدهم بجزيل الثواب فقال عز وجل : (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ ولا فَسَاداً والْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)) (القصص) .

وفي الحديث الصحيح قال صلى الله عليه وسلم : (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد) –أخرجه أبو داود في الأدب ح/٤٢٥٠ واللفظ له وهو مخرج في مسلم ح/٢٨٦٥

قال ابن رجب في " جامع العلوم والحكم ما مختصره":

قال بعض السلف التواضع أن تقبل الحق من كل من جاء به وإن كان صغيرا فمن قبل الحق ممن جاء به سواء كان صغيرا أو كبيرا وسواء كان يحبه أو لا يحبه فهو متواضع ومن أبي قبول الحق تعاظما عليه فهو متكبر.

ثم قال: وفي الجملة فينبغي للمؤمن أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه فإن رأى في أخيه المسلم نقصا في دينه اجتهد في إصلاحه قال بعض الصالحين من السلف أهل المحبة لله نظروا بنور الله وعطفوا على أهل معاصي الله مقتوا أعمالهم وعطفوا عليهم ليزيلوهم بالمواعظ عن فعالهم وأشفقوا على أبدانهم من النار ولا يكون المؤمن مؤمنا حقا حتى يرضى للناس ما يرضاه لنفسه وإن رأى في غيره فضيلة فاق بها عليه فيتمنى لنفسه مثلها فإن كانت تلك الفضيلة دينية كان حسنا وقد تمنى النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه منزلة الشهادة وقال صلى الله عليه وسلم "لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله القرآن فهو يقرؤه آناء الليل وآناء النهار – وسيأتي شرحه وبيانه– ". اهـ

هجر الأخ أخاه عين الكبر:

ومما يجب التنبيه عليه هنا أن كثيراً ما يحدث بين الأخ وأخيه سوء تفاهم فيهجره أياماً فلا يسلم عليه إذا لقيه ولا يسأل عنه ويحلف بالله تعالى أن لا يجلس معه في مكان واحد .. لماذا ؟ ! يوسوس له الشيطان بأن أخاه قد أهانه وأخطأ في

حقه وأن له كرامة وكذا وكذا ، والحقيقة إنها ليس كرامة وإنما هو عين الكبر وحب النفس لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يهجر الأخ أخاه فوق ثلاث ومن يعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا كرامة له .

وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال : " لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام " –أخرجه مسلم عن أبي أيوب الأنصاري– في البر والصلة ح/٢٦٥٠.

قال النووي في شرح حديث الهجر ما مختصره: قال العلماء : في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال ، وإباحتها في الثلاث الأول بنص الحديث ، والثاني بمفهومه . قالوا : وإنما عفي عنها في الثلاث لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك ؛ فعفي عن الهجرة في الثلاثة ليذهب ذلك العارض . اهـ

نعم أخي المسلم لا تتردد في الصلح مع أخيك والاعتذار له حتى لو كان الحق معك فإن خيركما من يبدأ بالسلام ، وربما يقول لك شياطين الإنس لا تكن حليماً ولا تسامحه هذا ضعف والناس ستقول عنك أنك خائف ، اعلم أن الله أحق أن تخشاه وكفي بهذه الآية موعظة لك..

قال تعالي : (ولا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ ولِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) ومَا يُلَقَّاهَا إلاَّ الَذِينَ صَبَرُوا ومَا يُلَقَّاهَا إلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)) (فصلت) .

ثانياً : ذكر الموت :

الدواء الثاني للكبر هو ذكر الموت : فيتذكر المتكبر ما يصير إليه حاله بعد الموت وكيف إنه سيصير جيفة منتنة وتنخر عظامه وتبلى أعضاؤه ويأكل الدود أجزاؤه فلا حسب ولا نسب ولا جاه ينجيه من هذا المصير ، ثم وقوفه مع الخلائق عارياً ذليلاً يقال له : (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً (١٤) (الإسراء) .

وفي الحديث الصحيح:" عن أبي هريرة قال :(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات)-أخرجه الترمذي في الزهد ح/٢٣٠٧ – وهو في صحيح الجامع ح/١٢١٠

فمن أيقن بالموت عمل لأخرته ومن عمل لأخرته كفاه الله أمر دنياه ومنع عنه أذي الناس

.

٣- داء الحسد

الداء الثالث من أمراض القلوب الحسد : وهو داء يجب أن يحترز منه المسلم لأن الحسد اعتراض على قسمة الله على عباده ..

قال تعالى : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ورَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً ورَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)) (الزخرف) .

ولقد نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن الحسد فقال : " لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً " . أخرجه مسلم في البر ح/٢٥٥٩

قال النووي في شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وسلم : التدابر المعاداة ، وقيل : المقاطعة ؛ لأن كل واحد يولي صاحبه دبره . والحسد تمني زوال النعمة ، وهو حرام . ومعنى (كونوا عباد الله إخوانا) أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق ، والشفقة والملاطفة ، والتعاون في الخير ، ونحو ذلك ، مع صفاء القلوب ، والنصيحة بكل حال . قال بعض العلماء . وفي النهي عن التباغض إشارة إلى النهي عن الأهواء المضلة الموجبة للتباغض .اهـ

أقسام الحسد :

اعلم أن الحسد قسمان :

أولهما : أن يتمنى المرء زوال النعمة من مال أو علم أو جاه أو غير ذلك لتحصل له .

وثانيهما : وهو شرهما أن يتمنى زوال النعمة عن غيره ولو لم تحصل له .

وليس من الحسد الاغتباط وهو تمنى حصول نعمة مثل نعمة غيره من علم أو مال أو صلاح بدون تمني زوالها وهو المقصود بقول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها" –أخرجه البخاري في الزكاة ح/١٤٠٩ ومسلم في صلاة المسافرسن ح/٨١٦

وفي رواية أخري : " لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار"

ولزيادة بيان اليك ما قاله شيخ الإسلام ط ابن تيمية –رحمه الله– قال:

فهذا الحسد الذى نهى عنه النبى إلا فى موضعين هو الذى سماه أولئك الغبطة وهو أن يحب مثل حال الغير ويكره أن يفضل عليه فإن قيل إذا لم سمي حسدا وإنما

أحب أن ينعم الله عليه قيل مبدأ هذا الحب هو نظره إلى إنعامه على الغير وكراهته أن يتفضل عليه ولولا وجود ذلك الغير لم يحب ذلك فلما كان مبدأ ذلك كراهته أن يتفضل عليه الغير كان حسدا لأنه كراهة تتبعها محبة وأما من أحب أن ينعم الله عليه مع عدم التفاته إلى أحوال الناس فهذا ليس عنده من الحسد شئ

ولهذا يبتلى غالب الناس بهذا القسم الثانى وقد تسمى المنافسة فيتنافس الاثنان فى الأمر المحبوب المطلوب كلاهما يطلب أن يأخذه وذلك لكراهية أحدهما أن يتفضل عليه الآخر كما يكره المستبقان كل منهما أن يسبقه الآخر والتنافس ليس مذموما مطلقا بل هو محمود فى الخير قال تعالى" إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ المتَنَافِسُونَ (٢٦) -المطففين "

فأمر المنافس أن ينافس فى هذا النعيم لا ينافس فى نعيم الدنيا.اهـ-انظر مجموع الفتاوي ١١٣/١٠

مواعظ الصالحين من خطورة داء الحسد :

أدرك الرعيل الأول خطورة الحسد علي صحة الإيمان وطهارة القلب فكانوا أبعد الناس عنه وأليك بعض مواعظهم.

قال أبو الدرداء : ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده .

وقال رجل للحسن : هل يحسد المؤمن ؟ قال : ما أنساك بني يعقوب .. نعم ولكن غمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به يداً ولا لساناً.

وقال ابن سرين : ما حسدت أحداً على شئ من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة ، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار .

وقيل عن الحسد هذا البيت من الشعر :

كل العداوات قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عداك من حسد

أسباب داء الحسد :

ذكره أبو حامد الغزالي في الإحياء/ج ٥ :

(أن من أسباب الحسد : العداوة ، والتكبر ، والعجب ، وحب الرياسة ، وخبث النفس وبخلها ، والعداوة والبغضاء فإن من آذاه إنسان بسبب من الأسباب وخالفه في غرضه أبغضه قلبه ورسخ في نفسه الحقد) أ هـ .

ولا ريب أن مثل هذه المعاصي وغيرها من الأسباب تؤدي إلي سقم قلب العبد وبالتبعة بعده عن الله تعالي ومخالفة سنة رسوله ﷺ .

والعلاج من الحسد:

أن يتجنب العبد الوقوع في الأسباب المؤدية إليه التي ذكرناها أنفاً ومجاهدة النفس علي ذلك وليعلم أن علاج الحسد يكون بعدة أمور وسأذكر أثنين فيهما الكفاية :

١-القناعة والرضا بقضاء الله تعالى : لقوله ﷺ : " قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه " – أخرجه مسلم في الزكاة ح/١٠٥٤ ، والترمذي في الزهد ح/٢٣٤٨

والقناعة تجعل العبد راضياً بما أعطاه الله من رزق شاكراً إياه ولا يطمع فيما رزق غيره حتي لا يزدري نعمة الله عليه .

قال ابن القيم –رحمه الله :

أن الرضى يثمر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور وطيب النفس وسكونها في كل حال وطمأنينة القلب عند كل مفزع مهلع من أمور الدنيا وبرد القناعة واغتباط العبد بقسمه من ربه وفرحه بقيام مولاه عليه واستسلامه لمولاه في كل شيء ورضاه

منه بما يجريه عليه وتسليمه له الأحكام والقضايا واعتقاد حسن تدبيره وكمال حكمته ويذهب عنه شكوى ربه إلى غيره وتبرمه بأقضيته ولهذا سمى بعض العارفين الرضى :

حسن الخلق مع الله فإنه يوجب ترك الاعتراض عليه في ملكه وحذف فضول الكلام التي تقدح في حسن خلقه فلا يقول : ما أحوج الناس إلى مطر ولا يقول : هذا يوم شديد الحر أو شديد البرد ولا يقول : الفقر بلاء والعيال هم وغم ولا يسمى شيئا قضاه الله وقدره باسم مذموم إذا لم يذمه الله سبحانه وتعالى فإن هذا كله ينافي رضاه ، وقال عمر بن عبد العزيز –رحمه الله :

أصبحت ومالي سرور إلا في مواقع القدر وقال ابن مسعود رضي الله عنه : الفقر والغنى مطيتان ما أبالي أيهما ركبت إن كان الفقر فإن فيه الصبر وإن كان الغنى فإن فيه البذل اهـ–انظر كتاب مدارج السالكين ٣/١٣٠

٢– الزهد في الدنيا :

لو علم المرء أن الدنيا فانية والآخرة خير وأبقى ما طمع بشئ من حطامها وما حسد إنسان على ما هو فيه من نعم زائفة .

قال تعالى : (وَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ ولَعِبٌ وإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)) (العنكبوت /٦٤) ..

ومعنى الحيوان : أي الحياة الحقيقية الكاملة .. وقال صلى الله عليه وسلم : " تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض| "– أخرجه البخاري في الرقاق ح/٦٤٣٥

قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث ما مختصره:

قوله (تعس) بكسر العين المهملة ويجوز الفتح أي سقط والمراد هنا هلك ، وقال ابن الأنباري : التعس الشر ، قال تعالى (فتعسا لهم) أراد ألزمهم الشر ، وقيل التعس البعد أي بعدا لهم .

. قوله (عبد الدينار) أي طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه ، فكأنه لذلك خادمه وعبده . قال الطيبي : قيل خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها كالأسير الذي لا يجد خلاصا ، ولم يقل مالك الدينار ولا جامع الدينار لأن المذموم من الملك والجمع الزيادة على قدر الحاجة . وقوله " إن أعطى إلخ " يؤذن بشدة الحرص على ذلك . وقال غيره : جعله عبدا لهما لشغفه وحرصه ، فمن كان عبدا لهواه لم يصدق في حقه (إياك نعبد) فلا يكون من اتصف بذلك صديقا . قوله (والقطيفة) هي الثوب الذي له خمل " والخميصة الكساء المربع " اهـ

٤ – داء الرياء

اعلم أخي المسلم .. أن الرياء مشتق من الرؤية ، فالمرائي يرى الناس ليتقرب إليهم حياً في الدنيا وزينتها .

أما الرياء في الدين فهو أسوأ أنواع الرياء لأنه قد يؤدي إلى الشرك وإحباط العمل والعبادة التي يرائي بها العبد أمام العباد والله جل وعلا لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم

قال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (١١٠)) (الكهف) .

وقال صلى الله عليه وسلم محذراً : " أن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في

الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء " -أخرجه السيوطي وقال الألباني في الجامع صحيح ح/ ١٥٥٥

مثال ذلك من يرى الناس ينظرون إليه وهو يصلي فيخشع ويطيل في صلاته في ركوعه وسجوده ، وإن كان منفرداً صلى بلا خشوع أو طمأنينة .وكذلك في الصوم والحج وسائر العبادات .

وأقول لمن يفعل ذلك ويرائي الناس حذار من الرياء للناس، وتذكر هذا الحديث القدسي الذي أثار رعب العابدين .

- عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار .

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار "- أخرجه مسلم في الأمارة ح/١٩٠٥

الدواء النافع لداء الرياء :

أن من أنفع الأدوية للرياء هو إخلاص النية في الأقوال والأعمال ، والإخلاص سر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل ..

قال تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ..) (البينة /٥)

. فأخلص نيتك يصلح الله سريرتك وعلانيتك ..

و قال بعض السلف : يخلص العمل ثلاثة أشياء :

أولها : أن يرى الإذن في العمل من الله تعالى ، ليكسر به العجب .

والثاني : أن يبتدئ برضا الله ليكسر به الهوى .

والثالث : أن يبتغي ثواب العمل من الله تعالى ، ليكسر الطمع والرياء ، فهذه الأشياء تخلص الأعمال) اهـ .

ومعنى قوله (يرى الإذن في العمل من الله) يعني أن الله تعالى هو الذي وفقه لذلك العمل فيشتغل بالشكر ولا يعجب بعمله .

ومعنى قوله : (ويبدئ برضا الله تعالى) يعني إن علم في هذا العمل رضا الله فعله وإن علم عكس ذلك فلا يعمل بهوى نفسه .

هذا ولا ينافي الإخلاص إظهار الأعمال وقولك إني صائم أو أصلي أو أفعل كذا وكذا إن كان ليقتدي بك غيرك أو لترغيب الناس في الخير والطاعة فليس ذلك من الرياء إن كانت نيتك لله تعالى والدعوة إلى دينه .

وكذلك من الأعمال ما لا يمكن أن يخفيها العبد كالحج والجهاد ولكن ليخلص النية لله تعالى حتى يقبلها ولا يجعل للشيطان فيها حظاً ولا نصيباً .

٥- داء الظلم

اعلم أن الظلم داء قد حرمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم تحريماً شديداً في كثير من الآيات والأحاديث قال تعالى :

(..ومَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً (١٩)) (الفرقان) .

واعلم أن الله تعالى ما ظلم العباد شيئاً فقد خلقنا في أحسن تقويم وأنعم علينا بنعم لا حصر لها من سمع وبصر وحواس أخرى وبعث الرسل والأنبياء الينا مبشرين ومنذرين ، وما حرم علينا شيئاً إلا جعل لنا بديلاً حلالاً .

فهو سبحانه حرم علينا الزنا وأحل لنا الزواج .. حرم الربا وأحل البيع .. حرم الخمر وأحل لنا باقي المشروبات وهكذا ..

ثم أنه سبحانه يسر لنا أمر العبادات، فرخص لنا بالإفطار في رمضان لعذر كالسفر أو المرض .

وكذلك في الصلاة رخص لنا تأديتها قعوداً أو حسب الاستطاعة ، وما يقال عن الصيام والصلاة يقال عن باقي العبادات فديننا يسر ولله الحمد والمنة .

وهكذا اقتضت حكمه الله وعدله وفضله ، فإن خرج الإنسان بعد ذلك وارتكبت جوارحه مالا يرضاه ربه فقد ظلم وأساء واستحق عقاب الله جل وعلا .

داء الظلم أنواع :

قال ابن القيم:

ظلم النفس إنما يراد به ظلمها بالذنوب والمعاصي فإن الظلم ثلاثة أنواع ظلم في حق النفس بإتباعها شهواتها وإيثارها لها على طاعة ربها وظلم في حق الخلق بالعدوان عليهم ومنعهم حقوقهم وظلم في حق الرب بالشرك به اهـ- أنظر"طريق الهجرتين" ٢٩٤/١

ولنبين هذه الأنواع الثلاثة بشيء من التوضيح ليهلك من هلك عن **بينة** ويحيا من حي عن بينة

١- ظلم العبد لحقوق الله عليه :

أما ظلم العبد لربه فهو أبشع أنواع الظلم ومثال هذا الظلم الشرك بالله تعالى.

قال تعالى : (إن الشرك لظلم عظيم) (لقمان /١٣) .

والعبد المشرك بالله سواء كان شرك أكبر أو أصغر عليه أن يعلم أنه الذنب الذي لا يغفره الله تعالى . قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ومَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً (٤٨)) (النساء) .

وإليك عناوين سريعة لأنواع من الشرك الأكبر والأصغر يقع فيها العباد وهم عن خطرها غافلون

- من الشرك الأكبر الاستعانة والتوسل بأهل القبور .
- ومن الشرك الأكبر اتخاذ غير الله مشرعاً . .
- ومن الشرك الأصغر أنواع كثيرة من ذلك .. الحلف بغير الله ، لبس الحلقة والخيط ، تعليق التمائم ، الرقي (الغير شرعية بالطلاسم وغير اللسان العربي) إتيان العرافين، والدجالين الطيرة (التشاؤم)،الرياء ،وغير ذلك . .

علاج ظلم العبد لحقوق الله عليه :

اعلم أن العلاج في البعد عن هذه الأنواع من الشرك وإخلاص العبودية لله تعالى ولا يفتر لسانك عن ذكر الله ونطق شهادة التوحيد والعمل بمقتضاها وليس مجرد النطق بها وعملك يخالفها فهذا نفاق والعياذ بالله ، قال صلى الله عليه وسلم :: " من قال لا إله إلا الله مخلصا موقنا دخل الجنة " – أخرجه أحمد وانظر السلسلة الصحيحة للألباني /٢٣٥٥ .

وقد بينا معني الإخلاص سلفاً ولله الحمد والمنة.

ظلم العبد لغيره :

قد يظلم المرء أخيه بالقول أو الفعل في دار الدنيا فهل ينتهي الأمر عند هذا الحد .. طبعاً لا ، ولسوف يأخذ المظلوم حقه من ظالمه في أغلى ما يملكه يوم القيامة .. حسناته.. فإن المال والجاه والحسب والنسب لا يغني يومئذ شيئاً

قال صلى الله عليه وسلم : " من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه" – أخرجه البخاري في الرقاق ح/٦٥٣٤

وظلم العبد لغيره ربما يكون باللسان بالغيبة أو النميمة ، وربما كان باليد كسرقة مال ، أو اعتداء بالضرب والسب .. الخ .

وأسوأ أنواع الظلم للعباد في زماننا هذا هو التلبيس الفكري لبعض خطباء الفتنة الذين يخادعون غيرهم بتحليل وتشجيع الاختلاط والتبرج والعري والسفور وتحليل الغناء والفن بلا ضوابط شرعية ويشككون الناس في دينهم فيسمع المرء منهم وينكر..

لماذا شهادة الرجل بشهادة امرأتين ؟!

ولماذا يحرم الربا وعليه يقوم الاقتصاد العالمي ؟!

ولماذا نصيب الرجل في الميراث كنصيب امرأتين ؟! ، ولماذا لا تسافر المرأة بدون محرم وإذن الزوج ؟! .. الخ .

ويعتقدون أنهم أصحاب رؤية تقدمية وإنهم يدافعون عن الدين أكثر من أهله من العلماء ورثة الأنبياء، والله يعلم أنهم كاذبون .. قال تعالى :

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١)) (البقرة) .. وحسبنا الله ونعم الوكيل .

دواء ظلم العبد لأخيه الإنسان .

اعلم أن الدواء الذي لا دواء غيره هو العدل والإحسان . قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسَانِ وإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى ويَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والْمُنكَرِ والْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)) (النحل) .

وقال صلى الله عليه وسلم : " إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"– أخرجه مسلم في الأمارة ح/ ١٨٢٧

٣–ظلم العبد لنفسه :

الله عز وجل جعل الجنة ثواب تتنفس التي تبتغي مرضاته ، وجعل النار عقاب لمن ضل نفسه واتبع هواه وتردي .

قال تعالي " ومَا ظَلَمْنَاهُمْ ولَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨) " –النحل

فمن أفسد نفسه بالمعاصي والذنوب فقد ظلمها وجعلها أهلاً للطرد من رحمة الله تعالي..

وظلم العبد لنفسه له صور متعدد من ذلك: تركه للصلاة والتهاون فيها ، عقوقه لوالديه وقد أمر ببرهما والإحسان اليهما ، وكذلك تركة لزوجته أو أبنته تخرج متبرجة عاصية لأمر الله تعالي لها بالحجاب لأنه القوام عليهما أمام الله الذي حذره من التفريط في ذلك فقال تعالي:

" يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ نَاراً وقُودُهَا النَّاسُ والْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ويَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) "-التحريم

ولقوله ﷺ:"كلكم راع فمسئول عن رعيته فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته "- أخرجه البخاري في العتق ح/٢٥٥٤، ومسلم في الأمارة ح/١٨٢٩

دواء ظلم العبد لنفسه:

من أعظم الأدوية لذلك وأنفعها علي الإطلاق هو المراقبة والمحاسبة ..

قال ابن القيم في إغاثة اللهفان(١/٨٤) ما مختصره : فإذا كان العبد مسئولا ومحاسبا على كل شيء حتى على سمعه وبصره وقلبه كما قال تعالى : إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا [الاسراء : ٣٤] فهو حقيق أن يحاسب نفسه قبل أن يناقش الحساب

وقد دل على وجوب محاسبة النفس قوله تعالى(يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد)[الحشر : ١٨] يقول تعالى : لينظر أحدكم ما قدم ليوم القيامة من الأعمال : أمن الصالحات التي تنجيه أم السيئات التي توبقه. ثم قال : وفي محاسبة النفس عدة مصالح منها : الإطلاع على عيوبها ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته فإذا اطلع على عيبها مقتها في ذات الله تعالى اهـ

ومن الخطأ أن يفرط المرء في محاسبة نفسه يومياً كلما عصي الله تعالي لأن ذلك يسقم القلب يوماً بعد يوم وليتذكر العبد موقفه يوم يوضع الكتاب وهو بين الخلائق

عارياً ذليلاً وقد هتكت السطور عن المعاصي وكشفت عن أفعاله وأقواله ألا من ستره الله بكرمه وفضله .

قال تعالي :

" ووُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى المجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ويَقُولُونَ يَا ويْلَتَنَا مَا لِهَذَا الكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إلاَّ أَحْصَاهَا ووَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً (٤٩) "–الكهف

وأكتفي بما ذكرت هنا من داء ودواء لبعض أمراض القلوب ولنشرع ببيان الداء والدواء لأمراض الأبدان والله المستعان .

القسم الثاني :الداء والدواء لأمراض الأبدان

البدن يصيبه السقم والوهن كما يصيب القلب تماماً ، ولا ريب أن في معرفة الداء والدواء وطرق الوقاية من الأمراض التي تصيبه لأمر علي جانب عظيم من الأهمية للإنسان ..

لأن من البدهي أن أمراض البدن لها تأثير في نشاطه وعلاقته وطاعته لله تعالي سلباً وإيجابا وفي معرفة الداء والدواء وسيلة لاستمرار هذه الطاعة علي أكمل وجه .

وأننا نري في الطب النبوي الكثير والكثير من الفوائد لسبب بسيط جداً..

وهو أن الطب النبوي يعتمد علي الخامات الطبيعية من الأعشاب والنباتات فضلا عما في بطون مخلوقات الله أو جلودها ولحومها مما من الله بها علينا من الفوائد الصحية والأغذية المفيدة ما لاغني للإنسان عنها..

قال ابن القيم رحمه الله في الزاد (٤/٩)" :

وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يعدل عنه إلى الدواء ، ومتى أمكن بالبسيط لا يعدل عنه إلى المركب .

قالوا : وكل داء قدر على دفعه بالأغذية والحمية ، لم يحاول دفعه بالأدوية .

قالوا : ولا ينبغي للطبيب أن يولع بسقي الأدوية ، فإن الدواء إذا لم يجد في البدن داء يحلله ، أو وجد داء لا يوافقه ، أو وجد ما يوافقه فزادت كميته عليه ، أو كيفيته ، تشبث بالصحة ، وعبث بها . ثم قال:

وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا أموراً كثيرة ، ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية اهـ.

ومن ثم لا عجب أن كان العلاج النبوي سواء الروحي أو البدني كان يمثل للصحابة الكرام المرجعية الطبية الأولي الموثوق بها لأنه صلي الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوي وإنما كان يعلمهم مما علمه ربه وفي هذا ما يكفي ويشفي .

و ليس هذه دعوة لترك العلاج الطبي الحديث بالأدوية الكيماوية التي لا يخلو معظمها من الآثار الجانبية كما لا يخفي ، ولكنها دعوة للعودة إلي ما أنعم الله به علينا من خيرات الطبيعة.

تنبيهات لا غني عنها:

قبل الشروع في بيان الداء والدواء لبعض الأمراض المنتشرة بيننا مع بيان كنوز صحية من روائع الطب النبوي للعلاج و الوقاية من كثير من الأمراض ننبه لأمرين علي جانب عظيم من الأهمية .

الأمر الأول :أن العلاج من أمراض الأبدان لا ينافي التوكل علي الله ، وإهمال التداوي من المسلم بحجة التوكل ضلال فكري لا يقوم علي دليل شرعي بل الشرع يرفضه..

قال ابن القيم في الزاد(١٢/٤) :

وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي ، وأنه لا ينافي التوكل ، كما لا ينافيه دفع داء الجوع ، والعطش ، والحر ، والبرد بأضدادها ، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً ، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل ، كما يقدح في الأمر والحكمة ، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل ، فإن تركها عجزاً ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ، ودفع ما يضره في

دينه ودنياه ، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب ، وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع ، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ، ولا توكله عجزاً .

وفيها رد على من أنكر التداوي ، وقال : إن كان الشفاء قد قدر ، فالتداوي لا يفيد ، وإن لم يكن قد قدر ، فكذلك . وأيضاً ، فإن المرض حصل بقدر الله ، وقدر الله لا يدفع ولا يرد ، وهذا السؤال هو الذي أورده الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما أفاضل الصحابة ، فأعلم بالله وحكمته وصفاته من أن يوردوا مثل هذا ، وقد أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بما شفى وكفى ، فقال : هذه الأدوية والرقى والتقى هي من قدر الله ، فما خرج شئ عن قدره ، بل يرد قدره بقدره ، وهذا الرد من قدره ، فلا سبيل إلى الخروج عن قدره بوجه ما ، وهذا كرد قدر الجوع ، والعطش والحر ، والبرد بأضدادها ، وكرد قدر العدو بالجهاد وكل من قدر الله : الدافع ، والمدفوع والدفع.اهـ

الأمر الثاني:إن أمر النبي صلي الله عليه وسلم للمسلمين بالتداوي ليس معناه إباحة التداوي بالمحرم لأدلة منها:

-حديث ابن مسعود موقوفا عليه قال النبي صلي الله عليه وسلم "إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم "-أخرجه البخاري معلقاً وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ح/١٦٣٣

- وعن ابن مسعود قال صلي الله عيه وسلم "أن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم"- وصحح الألباني إسناده في غاية المرام ح/٦٧

-وعن طارق بن سويد : أنه سئل النبي صلي الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه، أو كره أن يصنعها فقال : إنما أصنعها للدواء ، فقال : إنه ليس بدواء ولكنه داء"- أخرج مسلم في الأشربة ح/ ١٩٨٤

قال ابن القيم في الزاد (١٤١/٤):

المعالجة بالمحرمات قبيحة عقلاً وشرعاً ، أما الشرع فما ذكرنا من هذه الأحاديث وغيرها ، وأما العقل ، فهو أن الله سبحانه إنما حرمه لخبثه ، فإنه لم يحرم على هذه الأمة طيباً عقوبة لها ، كما حرمه على بني إسرائيل بقوله : " فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم " [النساء : ١٦٠] ، وإنما حرم على هذه الأمة ما حرم لخبثه ، وتحريمه له حمية لهم ، وصيانة عن تناوله

فلا يناسب أن يطلب به الشفاء من الأسقام والعلل ، فإنه وإن أثر في إزالتها ، لكنه يعقب سقماً أعظم منه في القلب بقوة الخبث الذي فيه ، فيكون المداوى به قد سعى في إزالة سقم البدن بسقم القلب .

وأيضاً فإن تحريمه يقتضي تجنبه والبعد عنه بكل طريق ، وفي اتخاذه دواء حض على الترغيب فيه وملابسته ، وهذا ضد مقصود الشارع ، وأيضاً فإنه داء كما نص عليه صاحب الشريعة ، فلا يجوز أن يتخذ دواء .اهـ

من طرق الوقاية في الطب النبوي

لاشك أن الوقاية خير من العلاج وفي الطب النبوي طرق كثيرة للوقاية من كل الأمراض ، ثبتت فوائدها العظيمة بإقرار أهل الطب في العصر الحديث أذكر هنا ثلاثة علي سبيل المثال لا الحصر والله المستعان.

١- الوقاية بنظافة اليدين بغسلهما قبل الأكل:

-عن عائشة رضي الله عنها قالت(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وإذا أراد أن يأكل أو يشرب قالت غسل يديه ثم يأكل أو يشرب)-أخرجه النسائي في الطهارة وانظر السلسلة الصحيحة ح/٧٤٥

٢- عدم الإسراف في الطعام والشراب

لقوله صلي الله عليه وسلم :" ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه "- أخرجه الترمذي في الزهد ح/٢٣٨٠ وصحح الألباني إسناده في إرواء الغليل ح/١٩٨٣

٣- التنسيق بين أنواع الأطعمة وتجانسها

التخليط بين الأطعمة دون النظر إلي تجانسها وفوائدها الصحية وتناول ما يحسنها لأمر شاذ يقع فيه الكثير من المسلمين ويجب مراعاته حتي لا يتضرر البدن، وهذا أمر ينبه عليه الأطباء في عصرنا هذا ،وفي هدي النبي صلي الله عليه وسلم ما يكفي ويشفي . .

قال ابن القيم في الزاد:(٢٠٤/٤)

ومن تدبر أغذيته صلى الله عليه وسلم ، وما كان يأكله ، وجده لم يجمع قط بين لبن وسمك ، ولا بين لبن وحامض ، ولا بين غذاءين حارين ، ولا باردين ، ولا

لزجين ، ولا قابضين ، ولا مسهلين ، ولا غليظين ، ولا مرخيين ، ولا مستحيلين إلى خلط واحد ، ولا بين مختلفين كقابض ومسهل ، وسريع الهضم وبطيئه ، ولا بين شوي وطبيخ ، ولا بين طري وقديد ، ولا بين لبن وبيض ، ولا بين لحم ولبن ، ولم يكن يأكل طعاماً في وقت شدة حرارته ، ولا طبيخاً بائتاً يسخن له بالغد ، ولا شيئاً من الأطعمة العفنة والمالحة ، كالكوامخ والمخللات ، والملوحات ، وكل هذه الأنواع ضار مولد لأنواع من الخروج عن الصحة والإعتدال .

وكان يصلح ضرر بعض الإغذية ببعض إذا وجد إليه سبيلاً ، فيكسر حرارة هذا ببرودة هذا ، ويبوسة هذا برطوبة هذا ، كما فعل في القثاء والرطب ، وكما كان يأكل التمر بالسمن ، وهو الحيس ، ويشرب نقيع التمر يلطف بك كيموسات الأغذية الشديدة .

وكان يأمر بالعشاء ، ولو بكف من تمر .

ثم قال :وذكر أبو نعيم عنه أنه كان ينهي عن النوم على الأكل ، ويذكر أنه يقسي القلب ، ولهذا في وصايا الأطباء لمن أراد حفظ الصحة : أن يمشي بعد العشاء خطوات ولو مائة خطوة ، ولا ينام عقبه ، فإنه مضر جداً ، وقال مسلموهم : أو يصلي عقيبه ليستقر الغذاء بقعر المعدة ، فيسهل هضمه ، ويجود بذلك .

ولم يكن من هديه أن يشرب على طعامه فيفسده ، ولا سيما إن كان الماء حاراً أو بارداً ، فإنه رديء جداً . ثم قال:

ويكره شرب الماء عقيب الرياضة ، والتعب ، وعقيب الجماع ، وعقيب الطعام وقبله ، وعقيب أكل الفاكهة ، وإن كان الشرب عقيب بعضها أسهل من بعض ، وعقب الحمام ، وعند الانتباه من النوم ، فهذا كله مناف لحفظ الصحة .اهـ

من أمراض الأبدان وطرق علاجها في الطب النبوي

في الطب النبوي علاج لكثير من الأمراض فهو صلي الله عليه وسلم كما ذكرنا سلفاً كان المرجعية الطبية لصحابته الكرام وقد دلهم علي الداء والدواء وهو الذي لا ينطق عن الهوي وحثهم علي العلاج بما فاء الله تعالي عليهم من خامات طبيعية .

ومن هذه الأمراض علي سبيل المثال :

الحمي ، استطلاق البطن- الإسهال-، الاستسقاء ، الجروح ،التسمم ،أمراض الأسنان ، عرق النسا، البثور، الجذام ، الصداع..الخ، وكل هذه الأمراض وغيرها تحتاج لبيان علاجها بالتفصيل إلي مساحة أكبر من هذه الرسالة ([1]).

ومن ثم رأينا أن نذكر هنا علاج الكثير من هذه الأمراض أجمالا وهي تندرج تحت دواء من الأدوية التي تتوفر في الصيدلية النبوية من روائع الطب النبوي بالخامات والأدوية الطبيعية وفي هذا ما يكفي ويشفي والله المستعان .

[1]- وقد طبع لنا " كتاب خلاصة تذكرة داود الأنطاكي " -طبع المكتبة المحمودية-مؤيداً بكلام ابن القيم وصاحب القانون فضلا عن الطب الشعبي المعاصر وليرجع إليه من يريد التوسع والزيادة .

١-العلاج بالحبة السوداء(الشونيز)

الحبة السوداء من روائع الطب النبوي وجاء فيها من الأحاديث ما يليق بأهميتها في الشفاء من كل أمراض الأبدان وأذكر هنا حديث واحد فيه الكفاية.

-عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام] والسام : الموت-أخرجه البخاري في الطب ح/٥٦٨٧، ومسلم في السلام ح/٢٢١٥

قال ابن القيم في الزاد(٤/٢٧٢):

الحبة السوداء : هي الشونيز في لغة الفرس وهي الكمون الأسود وتسمى الكمون الهندي

ثم قال :

وهي كثيرة المنافع جدا وقوله : [شفاء من كل داء] مثل قوله تعالى : { تدمر كل شيء بأمر ربها } [الأحقاف : ٢٥] أي : كل شئ يقبل التدمير ونظائره وهي نافعة من جميع الأمراض الباردة وتدخل في الأمراض الحارة اليابسة بالعرض فتوصل قوى الأدوية الباردة الرطبة إليها بسرعة تنفيذها إذا أخذ يسيرها

وقد نص صاحب القانون وغيره على الزعفران في قرص الكافور لسرعة تنفيذه وإيصاله قوته وله نظائر يعرفها حذاق الصناعة ولا تستبعد منفعة الحار في أمراض حارة بالخاصية فإنك تجد ذلك في أدوية كثيرة منها : الأنزروت وما يركب معه من أدوية الرمد كالسكر وغيره من المفردات الحارة والرمد ورم حار باتفاق الأطباء

وكذلك نفع الكبريت الحار جدا من الجرب

والشونيز حار يابس في الثالثة مذهب للنفخ مخرج لحب القرع نافع من البرص وحمى الربع : والبلغمية مفتح للسدد ومحلل للرياح مجفف لبلة المعدة ورطوبتها وإن دق

وعجن بالعسل وشرب بالماء الحار أذاب الحصاة التي تكون في الكليتين والمثانة ويدر البول والحيض واللبن إذا أديم شربه أياما وان سخن بالخل وطلي على البطن قتل حب القرع فإن عجن بماء الحنظل الرطب أو المطبوخ كان فعله في إخراج الدود أقوى ويجلو ويقطع ويحلل ويشفي من الزكام البارد إذا دق وصير في خرقة واشتم دائما أذهبه

ودهنه نافع لداء الحية ومن الثآليل والخيلان وإذا شرب منه مثقال بماء نفعع من البهر وضيق النفس والضماد به ينفع من الصداع البارد واذا نقع منه سبع حبات عددا في لبن امرأة وسعط به صاحب اليرقان نفعه نفعا بليغا

وإذا طبخ بخل وتمضمض به نفع من وجع الأسنان عن برد وإذا استعط به مسحوقا نفع من ابتداء الماء العارض في العين وإن ضمد به مع الخل قلع البثور والجرب المتقرح وحلل الأورام البلغمية المزمنة والأورام الصلبة وينفع من اللقوة إذا تسعط بدهنه وإذا شرب منه مقدار نصف مثقال إلى مثقال نفع من لسع الرتيلاء وإن سحق ناعما وخلط بدهن الحبة الخضراء وقطر منه في الأذن ثلاث قطرات نفع من البرد العارض فيها والريح والسدد

وإن قلي ثم دق ناعما ثم نقع في زيت وقطر في الأنف ثلاث قطرات أو أربع نفع من الزكام العارض معه عطاس كثير

وإذا أحرق وخلط بشمع مذاب بدهن السوسن أو دهن الحناء وطلي به القروح الخارجة من الساقين بعد غسلها بالخل نفعها وأزال القروح

وإذا سحق بخل وطلي به البرص والبهق الأسود والحزاز الغليظ نفعها وأبرأها

وإذا سحق ناعما واستف منه كل يوم درهمين بماء بارد من عضه كلب كلب قبل أن يفرغ من الماء نفعه نفعا بليغا وأمن على نفسه من الهلاك وإذا استعط بدهنه نفع من الفالج والكزاز وقطع موادهما وإذا دخن به طرد الهوام

وإذا أذيب الأنزروت بماء ولطخ على داخل الحلقة ثم ذر عليها الشونيز كان من الذرورات الجيدة العجيبة النفع من البواسير ومنافعه أضعاف ما ذكرنا والشربة منه درهمان .اهـ

وفي تذكرت داود الأنطاكي قال ما مختصره:

وهو يقطع شأفة البلغم والقولنج والرياح الغليظة وأوجاع الصدر والسعال وقذف المدة وضيق التنفس والانتصاب وفساد الأطعمة والاستسقاء واليرقان والطحال واستعماله كل صباح بالزبيب يحمر اللون ويصفيه ، ورماده يقطع البواسير شرباً وطلاءً وبخوره ينقي الرأس من سائر الصداع والأوجاع والشقيقة والزكام والعطاس .اهـ

٢- العلاج بأعواد السواك " الأراك"

-أخرج مسلم بسنده عن عائشة قالت (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء قال زكرياء- راوي الحديث- قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة)-أخرجه مسلم في الطهارة ح(٢٦١)، والترمذي في الادب ح/(٢٧٥٧)

-وثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم إنه قال: [لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة]- البخاري في الجمعة ح/٨٨٧، ومسلم في الطهارة ح/٢٥٢

وفي صحيح البخاري تعليقا عنه صلى الله عليه وسلم : [السواك مطهرة للفم مرضاة للرب] أخرجه البخاري في الصوم والنسائي في الطهارة ح/٥ وغيرهما والأحاديث عن فضل السواك كثيرة..قال ابن القيم في الزاد (٢٩٣/٤)

وأصلح ما اتخذ السواك من خشب الأراك ونحوه ولا ينبغي أن يؤخذ من شجرة مجهولة فربما كانت سما وينبغي القصد في استعماله فإن بالغ فيه فربما أذهب طلاوة الأسنان وصقالتها وهيأها لقبول الأبخرة المتصاعدة من المعدة والأوساخ ومتى استعمل باعتدال جلا الأسنان وقوى العمود وأطلق اللسان ومنع الحفر وطيب النكهة ونقى الدماغ وشهى الطعام

ثم قال :

وفي السواك عدة منافع : يطيب الفم ويشد اللثة ويقطع البلغم ويجلو البصر ويذهب بالحفر ويصح المعدة ويصفي الصوت ويعين على هضم الطعام ويسهل مجاري الكلام وينشط للقراءة والذكر والصلاة ويطرد النوم ويرضي الرب ويعجب الملائكة ويكثر الحسنات

ويستحب كل وقت ويتأكد عند الصلاة والوضوء والانتباه من النوم وتغيير رائحة الفم ويستحب للمفطر والصائم في كل وقت لعموم الأحاديث فيه ولحاجة الصائم إليه ولأنه مرضاة للرب ومرضاته مطلوبة في الصوم أشد من طلبها في الفطر ولأنه مطهرة للفم والطهور للصائم من أفضل أعماله.اهـ

وقال صاحب كتاب " التداوي بالأعشاب([١])-

: وقد أثبتت الأبحاث الطبية ان السواك المأخوذ من شجرة الأراك غني بالمواد المطهرة والمنظفة والقابضة والمانعة للنزف الدموي والعفوي والقاتلة للجراثيم حيث يحتوي

---

[١]- التداوي بالأعشاب–لعبد اللطيف عاشور"

السواك علي العفص (**TANNICACID**)ولهذه المادة تأثير مضاد للتعفنات والإسهالات ، كما يطهر اللثة والأسنان ويشفي جروحها الصغيرة ويمنع نزيف الدم منها .

أما مادة (**SINNGIRIN**) فهي عبارة عن جليكوزيد مكونة من اتحاد زيت الخردل (أليك) مع سكر العنب اليمني ويمكن فصلها بواسطة الخميرة المسماة (**MGROSIN**) إلي سكر العنب وزيت الخردت وللأخير رائحة حادة وطعم حراق وهو ما يشعر به الشخص الذي يستعمل السواك لأول مرة وهذه المادة تساعد علي الفتك بالجراثيم .

ثم قال : وقد تم صناعة معجون الأسنان من خلاصة السواك ولو نظرنا للسواك لوجدناه كيميائيا يتكون من الياف السليلوز وبعض الزيوت الطيارة ومن راتنج عطري وأملاح معدنية أهمها : كلوريد الصوديوم –ملح الطعام – وكلوريد البوتاسيوم وأوسالات الجير ولذلك فالسواك فرشاة طبيعية زودت بأملاح معدنية ومواد عطرية تساعد علي تنظيف الأسنان . اهـ

٣- العلاج بالحجامة

الحجامة من روائع الطب النبوي وقد ثبت احتجامه صلي الله عليه وسلم وأمرنا به.

- و عن أنس بن مالك –رضي الله عنه –قال:(احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم حجمه أبو طيبة فأمر له بصاعين من طعام وكلم أهله فوضعوا عنه من خراجه وقال إن أفضل ما تداويتم به الحجامة أو هو من أمثل دوائكم)-أخرجه مسلم في المساقاة ح/١٥٧٧

وثبت أيضاً أحتجامه من السم الذي أصابه من الشاه المسمومة ..

قال ابن القيم في الزاد(٤/١١١)

-عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك- رضي الله عنه-قال : " أن امرأة يهودية أهدت إلى النبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية بخيبر ، فقال : ما هذه ؟ قالت : هدية ، وحذرت أن تقول : من الصدقة ، فلا يأكل منها ، فأكل النبي صلى الله عليه وسلم ، وأكل الصحابة ، ثم قال : أمسكوا ، ثم قال للمرأة : هل سممت هذه الشاة ؟ قالت : من أخبرك بهذا ؟ قال : هذا العظم لساقها ، وهو في يده ؟ قالت : نعم . قال : لم ؟ قالت : أردت إن كنت كاذباً أن يستريح منك الناس ، وإن كنت نبياً ، لم يضرك ، قال : فاحتجم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة على الكاهل ، وأمر أصحابه أن يحتجموا ، فاحتجموا ، فمات بعضهم" .-والحديث صحيح صحح الألباني إسناده في سنن أبي داود ح/٤٥١٢

ثم قال –رحمه الله-

معالجة السم تكون بالإستفراغات ، وبالأدوية التي تعارض فعل السم وتبطله ، إما بكيفياتها ، وإما بخواصها ، فمن عدم الدواء ، فليبادر إلى الإستفراغ الكلي وأنفعه الحجامة ، ولا سيما إذا كان البلد حاراً ، والزمان حاراً ، فإن القوة السمية تسري إلى الدم ، فتنبعث في العروق والمجاري حتى تصل إلى القلب ، فيكون الهلاك ، فالدم هو المنفذ الموصل للسم إلى القلب والأعضاء ، فإذا بادر المسموم ، وأخرج الدم ، خرجت معه تلك الكيفية السمية التي خالطته ، فإن كان استفراغاً تاماً لم يضره السم ، بل إما أن يذهب ، وإما أن يضعف فتقوى عليه الطبيعة ، فتبطل فعله أو تضعفه .

ولما احتجم النبي صلى الله عليه وسلم ، احتجم في الكاهل ، وهو أقرب المواضع التي يمكن فيها الحجامة إلى القلب ، فخرجت الماده السمية مع الدم لا خروجاً كلياً ، بل بقي أثرها مع ضعفه لما يريد الله سبحانه من تكميل مراتب الفضل كلها له ،

فلما أراد الله إكرامه بالشهادة ، ظهر تأثير ذلك الأثر الكامن من السم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ..

وقال رحمه الله في موضع أخر من الكتاب (٤/٤٩٨) عن منافع الحجامة ما مختصره::

وأما منافع الحجامة : فإنها تنقي سطح البدن أكثر من الفصد ، والفصد لأعماق البدن أفضل ، والحجامة تستخرج الدم من نواحي الجلد .

ثم قال:.

قال صاحب القانون – ابن سينا- : ويؤمر باستعمال الحجامة لا في أول الشهر ، لأن الأخلاط لا تكون قد تحركت وهاجت ، ولا في آخره لأنها تكون قد نقصت ، بل في وسط الشهر حين تكون الأخلاط هائجة بالغة في تزايدها لتزيد النور في جرم القمر

ثم قال:

والحجامة على الكاهل : تنفع من وجع المنكب والحلق .

والحجامة على الأخدعين ، تنفع من أمراض الرأس ، وأجزائه ، كالوجه ، والأسنان ، والأذنين ، والعينين ، والأنف ، والحلق إذا كان حدوث ذلك عن كثرة الدم أو فساده ، أو عنهما جميعاً .

والحجامة تحت الذقن تنفع من وجع الأسنان والوجه والحلقوم ، إذا استعملت في وقتها ، وتنقي الرأس والفكين ، والحجامة على ظهر القدم تنوب عن فصد الصافن ، وهو عرق عظيم عند الكعب ، وتنفع من قروح الفخذين والساقين ، وانقطاع الطمث ، والحكة العارضة في الإنثيين ، والحجامة في أسفل الصدر نافعة من دماميل الفخذ ، وجربه وبثوره ، ومن النقرس والبواسير ، والفيل وحكة الظهر .

ثم قال عن أفضل أوقات الحجامة:

–عن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم في الأخدعين والكاهل ، وكان يحتجم لسبعة عشر ، وتسعة عشر ، وفي إحدى وعشرين " ..–أخرجه الترمذي في الطب ح/٢٠٥١ وأنظر صحيح الجامع ح/٤٩٢٧

وفي سنن أبي داود من حديث أبي هريرة مرفوعاً : " من احتجم لسبع عشرة ، أو تسع عشرة ، أو إحدى وعشرين ، كانت شفاء من كل داء " –أنظر صحيح الجامع ح/ ٥٩٦٨

ثم قال:وهذه الأحاديث موافقة لما أجمع عليه الأطباء ، أن الحجامة في النصف الثاني ، وما يليه من الربع الثالث من أرباعه أنفع من أوله وآخره ، وإذا استعملت عند الحاجة إليها نفعت أي وقت كان من أول الشهر وآخره .

وقال صاحب القانون : أوقاتها في النهار : الساعة الثانية أو الثالثة ، ويجب توقيها بعد الحمام إلا فيمن دمه غليط ، فيجب أن يستحم ، ثم يستجم ساعة ، ثم يحتجم ، انتهى .

وتكره عندهم الحجامة على الشبع ، فإنها ربما أورثت سدداً وأمراضاً رديئة ، لاسيما إذا كان الغذاء رديئاً غليظاً . وفي أثر : " الحجامة على الريق دواء ، وعلى الشبع داء ، وفي سبعة عشر من الشهر شفاء " . واختيار هذه الأوقات للحجامة ، فيما إذا كانت على سبيل الاحتياط والتحرز من الأذى ، وحفظاً للصحة . وأما في مداواة الأمراض ، فحيثما وجد الإحتياح إليها وجب استعمالها . اهـ

٤- العلاج بأبوال الأيل وألبانها

قال ابن القيم في الزاد(٤/٤٢) ما مختصره:

في الصحيحين : من حديث أنس بن مالك ، قال : قدم رهط من عرينة وعكل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فاجتووا المدينة ، فشكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : " لو خرجتم إلى إبل الصدقة فشربتم من أبوالها وألبانها ، ففعلوا ، فلما صحوا ، عمدوا إلى الرعاة فقتلوهم ، واستاقوا الإبل ، وحاربو الله ورسوله ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم ، فأخذوا ، فقطع أيديهم ، وأرجلهم ، وسمل أعينهم ، وألقاهم في الشمس حتى ماتوا " -أخرجه البخاري في الجهاد ح/٣٠١٨، ومسلم في القسامة والمحاربين ح/ ١٦٧١

..والإستسقاء : مرض مادي سببه مادة غريبة باردة تتخلل الأعضاء فتربو لها إما الأعضاء الظاهرة كلها ، وإما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والأخلاط ، وأقسامه ثلاثة : لحمي ، وهو أصعبها . وزقي ، وطبلي .

ولما كانت الأدوية المحتاج إليها فى علاجه هي الأدوية الجالبة التي فيها إطلاق معتدل ، وإدرار بحسب الحاجة ، وهذه الأمور موجودة في أبوال الإبل وألبانها ، أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بشربها ، فإن في لبن اللقاح جلاءً وتليينا ً ، وإدراراً وتلطيفاً، وتفتيحاً للسدد ثم قال :

وهذا المرض لا يكون إلا مع آفة في الكبد خاصة ، أو مع مشاركة ، وأكثرها عن السدد فيها ، ولبن اللقاح العربية نافع من السدد ، لما فيه من التفتيح ، والمنافع المذكورة .

قال الرازي : لبن اللقاح يشفي أوجاع الكبد ، وفساد المزاج ، وقال الإسرائيلي : لبن اللقاح أرق الألبان ، وأكثرها مائية وحدة ، وأقلها غذاء ، فلذلك صار أقواها على

تلطيف الفضول ، وإطلاق البطن ، وتفتيح السدد ، ويدل على ذلك ملوحته اليسيرة التي فيه لإفراط حرارة حيوانية بالطبع ، ولذلك صار أخص الألبان بتطرية الكبد ، وتفتيح سددها ، وتحليل صلابة الطحال إذا كان حديثاً ، والنفع من الإستسقاء خاصة إذا استعمل لحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل ، وهو حار كما يخرج من الحيوان ، فإن ذلك مما يزيد في ملوحته ، وتقطيعه الفضول ، وإطلاقه البطن ، فإن تعذر انحداره وإطلاقه البطن ، وجب أن يطلق بدواء مسهل .

قال صاحب القانون : ولا يلتفت إلى ما يقال : من أن طبيعة اللبن مضادة لعلاج الإستسقاء . قال : واعلم أن لبن النوق دواء نافع لما فيه من الجلاء برفق ، وما فيه من خاصية ، وأن هذا اللبن شديد المنفعة ، فلو أن إنساناً أقام عليه بدل الماء والطعام شفي به ، وقد جرب ذلك في قوم دفعوا إلى بلاد العرب ، فقادتهم الضرورة إلى ذلك ، فعوفوا . وأنفع الأبوال : بول الجمل الأعرابي ، وهو النجيب ، اهـ

٥-العلاج بعسل النحل

عسل النحل جعله الله تعالي شفاء للناس من كل داء.. قال تعالي : (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)-النحل ٦٩

والنبي صلي الله عليه وسلم حث أمته علي التداوي به وثبت هذا في الصحيحين : من حديث أبي سعيد الخدري ، " أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن أخي يشتكي بطنه : وفي رواية : استطلق بطنه ، فقال : اسقه عسلاً ، فذهب ثم رجع ، فقال : قد سقيته ، فلم يغن عنه شيئاً. وفي لفظ : فلم يزده إلا استطلاقاً مرتين أو ثلاثاً ، كل ذلك يقول له : اسقه عسلاً ، فقال له في الثالثة أو الرابعة : صدق الله ، وكذب بطن أخيك " .-أخرجه البخاري في الطب ح/٥٧١٦، ومسلم في السلام ح/٢٢١٧

وقال ابن القيم في الزاد (٣/٤)

والعسل فيه منافع عظيمة ، فإنه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها ، محلل للرطوبات أكلاً وطلاءً ، نافع للمشايخ وأصحاب البلغم ، ومن كان مزاجه بارداً رطباً ، وهو مغذ ملين للطبيعة ، حافظ لقوى المعاجين ولما استودع فيه ، مذهب لكيفيات الأدوية الكريهة ، منق للكبد والصدر ، مدر للبول ، موافق للسعال الكائن عن البلغم ، وإذا شرب حاراً بدهن الورد ، نفع من نهش الهوام وشرب الأفيون ، وإن شرب وحده ممزوجاً بماء نفع من عضة الكلب الكلب ... ثم قال :

وهو غذاء مع الأغذية ، ودواء مع الأدوية ، وشراب مع الأشربة ، وحلو مع الحلوى ، وطلاء مع الأطلية ، ومفرح مع المفرحات ، فما خلق لنا شئ فى في معناه أفضل

منه ، ولا مثله ، ولا قريباً منه ، ولم يكن معول القدماء إلا عليه ، وأكثر كتب القدماء لا ذكر فيها للسكر البتة ، ولا يعرفونه ، فإنه حديث العهد حدث قريباً ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشربه بالماء على الريق ، وفي ذلك سر بديع في حفظ الصحة لا يدركه إلا الفطن الفاضل ثم قال:

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : " صدق الله وكذب بطن أخيك " ، إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء ، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه ، ولكن لكذب البطن ، و كثرة المادة الفاسدة فيه ، فأمره بتكرار الدواء لكثرة المادة .

وليس طبه صلى الله عليه وسلم كطب الأطباء ، فإن طب النبي صلى الله عليه وسلم متيقن قطعي إلهي ، صادر عن الوحي ، ومشكاة النبوة ، وكمال العقل .

وطب غيره ، أكثره حدس وظنون ، وتجارب ، ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة ، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول ، واعتقاد الشفاء به ، وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان ، فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور – إن لم يتلق هذا التلقي – لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها ، بل لا يزيد المنافقين إلا رجساً إلى رجسهم ، ومرضاً إلى مرضهم ، وأين يقع طب الأبدان منه ، فطب النبوة فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن طب الإستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع ، وليس ذلك لقصور فى الدواء ، ولكن لخبث الطبيعة ، وفساد المحل ، وعدم قبوله ، والله الموفق .اهـ

ولمعلوماتك أخي القاريء ففي العسل كل ما يحتاجه جسم الإنسان من فيتامينات ، ففيه فيتامين أ، ب١، ب٢، ب٣، ب٥،ب٦، د، ك، و،هـ .

وكذلك يحتوي علي معادن وأملاح كالحديد والكبريت والكالسيوم والبوتاسيوم واليود والصوديوم والقصدير والرصاص والمنجنيز ..الخ

وفوائده لا تحصي ولا تعد ولله الحمد والمنة.

..وبعد ..أختم هذه الرسالة بعد أن وصلت لنهايتها علي الرغم من حاجة الموضوع لمساحة أكبر ولكن فيما ذكرناه من روائع الطب النبوي الكفاية ليلتمس البعض الشفاء فيه بعيداً عن الأثار السيئة والأعراض الجانبية للأدوية الكيماوية ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي الصادق المعصوم صلي الله تعلي عليه وعلي اله وصحبه أجمعين

وكتبه/ سيد مبارك –أبو بلال

ت/٧٤٢٢٤٤٣

SAYEDMOBARK@ALISLAM.COM

فهرس الرسالة